الهمداني: مصادره وآفاقه العلمية

تأليف: محمود إبراهيم صغيري

عرض: أ.د. حميد العواضي
قسم اللغة الفرنسية، كلية الآداب
والعلوم الإنسانية - جامعة صنعاء

يقع الكتاب في 130 صفحة من القطع المتوسط نشره مركز الدراسات والبحوث اليمني، وإن لم يثبت عليه تاريخ النشر فقد نشر في ثمانينات القرن الماضي، أي في نفس الفترة التي نشر فيها كتاب "الهمداني لسان اليمن" بمناسبة ذكراه الألفية عام 1986 ربما قُبيل ذلك أو بُعيده بقليل(*). ويتكون الكتاب من مقدمة موجزة، وأربعة أبواب نستعرضها على التوالي:

الباب الأول: مصادر دراسة الهمداني

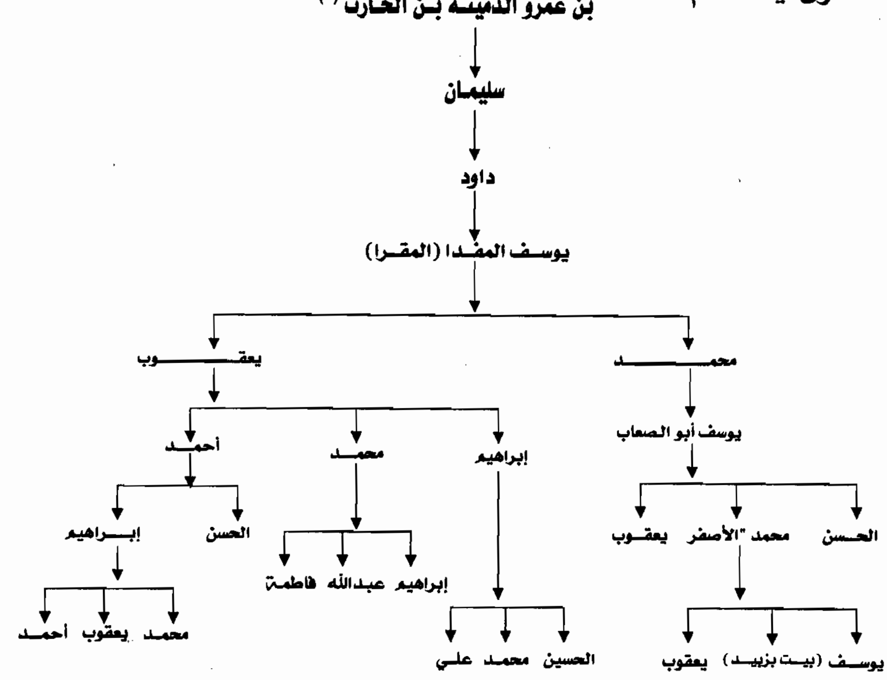
وفيه يقدم المؤلفة عرضاً مفصلاً عن أبي الحسن محمد بن أحمد الهمداني مبيناً كيف انتقلت أسرة الهمداني من غرب برط (المراشي) إلى الرحبة (صنعاء) كما وضع مشجراً لأسرة الهمداني نعيد نشره مع هذا العرض بتعديل طفيف.

ثم يفصل المؤلف حياة الهمداني من مولده في صنعاء سنة 280هـ/893م وهو التاريخ الذي لا خلاف حوله، ثم تنقلاته إلى صعده عام 292هـ/905م ثم إلى مكة 206هـ - 313هـ حيث جاور فيها سبع سنوات. ثم عاد إلى صعدة واستقر بها سنوات ست، ثم منها إلى صنعاء 319هـ. أما وفاة الهمداني وهي موضع خلاف فإن المؤلف يميل إلى تقدير ذلك بما ذهب إليه القاضي محمد الأكوع بين 350-360هـ ونميل إلى 360هـ كحد أقصى.

(*) نشرة فصول الكتاب في مجلة الإكليل من 1980-1984 (انظر البيلوغرافيا) الملحقة بهذا العدد..

ويضع المؤلف ثبتا منقولاً عن القاضي محمد الأكوع لمؤلفات الهمداني التي تعد بـ22 مصنفاً (راجع قسم البدليوغرافيا من هذا العدد) ويقدم المؤلف عرضاً آخر للتراجم التي صيغت عن الهمداني وهي قائمة تستحق الدراسة والمقارنة والتمحيص.

ويضيف المؤلف لهذا الباب ملحقين الأول تضمن نصاً كتبه القفطي (ت646هـ) عن الهمداني، والثاني ما نشره شكيب ارسلان عام 1930 عن قضية البحث عن مؤلفات الهمداني في المكتبات العثمانية- التركية والتي يظهر بها الفشل في الحصول على جديد يذكر في هذا الباب. ويبقى الأمل معقوداً على مزيد من البحث للظفر بما هو مخطوط إن في المكتبات التركية أو في المكتبات الأخرى في العالم.



الباب الثاني: نظرية الهمداني في الاحتراق

يقدم المؤلف عرضاً يكشف فيه كيف تطور التفكير الإنساني حول الاحتراق وتفسيره ابتداء بجهود الفيزيائي الفرنسي (جان ري Jean Rey) من

(*) المصدر: محمود صغيري، الهمداني: مصادره وآفاقه العلمية: ص6 مع التعديل بإضافة "بن عمرو ذو الدمينة بن الحارث"

مطلع القرن السابع عشر، ثم (روبرت بويل Robert Boyl) في نهاية نفس القرن ثـم سيطرة نظريـة الفلوغـستون Phlogiston, حيـث "أصبح القـول بعلاقـة الأكسجين بالاحتراق من المسلمات العلمية المفروغ من صحتها" ص48.

ثم يسجل المؤلف بالنصوص التي جاءت عن الهمداني ما يمكن اعتباره تفسيرا لنظرية الاحتراق بمصطلح "قلة النسيم" مبيناً أن الهمداني "لم يكتشف ظاهرة الاحتراق فحسب بل اكتشف ظاهرة القابلية المرتبطة بها " ص51، وهذا يعني أن الهمداني في القرن العاشر الميلادي قد برهن بشكل حاسم على علاقة الهواء بالاحتراق أولاً، والتنفس ثانياً قبل ظهور أي نظرية مماثلة في أوربا بنحو ثمانية قرون ميلادية ص51- 52 ولم يقف المؤلف على تفسير سبب عدم تطور هذه النظرية لدى العرب وإهمال هذا الكسب العلمي الذي تمت العودة إليه بعد استتباب العمل بالنظريات والقوانين العلمية السائدة.

الباب الثالث: مكانة الهمداني في تطور مفهوم الإنسان لظاهرة الجاذبية

وفيه يقدم الكاتب عرضاً موسعاً لتطور تفسير الجاذبية ابتداء بارسطو (384- 322ق.م) ومن جاء من بعده وصولاً إلى بحوث العرب في هذا المضمار وخاصة عن ابن سيناء والرازي والبيروني. ثم إنه، في حيز قصير بين ص73و 75 ، يطرح ما جاء عند الهمداني في هذه القضية العلمية مستشهداً بما ورد في "كتاب الجوهرتين العقيقتين" في عبارات تدل على فهم للقضية، وتأويل طريف لها حيث جعل الأرض "بمنزلة حجر المغناطيسي الذي يجذب قوة الحديد إلى كل جانب" ص74 . ثـم يختـم البـاب باسـتعراض مـا جـاء عـن أبـي البركـات البغـدادي (ت746هـ/1151م) ومـن بعـده البحـوث الغربيـة مـن (نيكـولاس كوبرتبكـوس)، (ويوهان كيل) ثم (غليلبو). ويثار نفس السؤال لماذا تركت هذه المبادرات الأولى دون تطوير وتعميق؟ ولماذا صرنا نتكلم عنها بعد أن صارت صياغتها نظرياً معروفـة ومـشهورة.؟ مـاذا نـسمي الإسـقاط اللاحـق للنـصوص العربيـة علـى المكتسبات العلمية الشائعة؟

الباب الرابع: الهمداني والريادة العربية في علوم الأراضة

ويقصد المؤلف بعلم الأراضية هنا ما صار اليوم في المعجم العربي يعرف بعلم (الجيولوجيا) أو (علوم الأرض). ويكرس المؤلف الجزء الأخير من الدراسة

للحديث عن اسهام الهمداني في دراسة هذا الجانب وخاصة في كتابه الجوهرتين الذي يعّده المؤلف "دليل صناعي". ثم ذيّل الباب بنشر جزء منه مخطوطين أحدهما بعنوان "ذكر ما عرف من معادن اليمن حجري وترابي في الخلقة" والأخر منشور بروايات ثلاث اختار منها رواية الأب انستاس الكرملي بعنوان باب معادن جزيرة العرب. ولم يقف طويلاً لتحليل هذين النصين أو شرحهما. ولعل في ما كتبه كرستيان رويان عن منجم الرضراض ما يكمل هذا الجانب (انظر قسم الدراسات المترجمة)

ملاحظات عامة:

يعد في تقديرنا هذا الكتاب مساهمة هامة لأنه من ناحية كُتب في مطلع الثمانينات من القرن الماضي وقدمت معلومات مفصلة عن "مصادر دراسة الهمداني" كما جاء في الباب الأول من هذا الكتاب، وكما جاء في إحدى دراسات هذا العدد من المجلة، مما يساعد على كشف مراحل حياة الهمداني وفهمها.

أما الأبواب الثلاثة الأخرى فإن النزعة الموسوعية للمؤلف وإطلاعه على تاريخ العلوم قد جعل الإشارة إلى الهمداني تأتي قصيرة، ومع هذا فإنها لا تخلو من أهمية في تحديد موقع الهمداني ودوره ضمن إطار عام للعلوم على مستوى تاريخها الإنساني الشامل. صحيح إننا اليوم صرنا أكثر فهماً وإدراكاً لإسهام الهمداني عما كان عليه الأمر مطلع الثمانينات من القرن الماضي، لكن الإسهام العلمي مازال يحتاج إلى بعض الجهد. ونعتبر ما جاء في هذا الكتاب من شذرات ومقاربات قادحاً للباحثين لتعميق معرفتهم بهذه الإسهامات.

يبدو أن الكتاب ألف على شكل مقالات منفصلة وإن بدا الناظم الموضوعي لها هو إبراز الإسهام العلمي للهمداني إلا أن الموضوع لم يستوف حقه من التحليل والتعمق في الموضوع لأسباب نعذر عليها المؤلف. ولكن له علينا واجب الشكر والتقدير لأنه من أوائل الباحثين اليمنيين الذي كرس للهمداني كتاباً يخصه ويظهر جهده في المجال العلمي. وندعو الزملاء في كليات العلوم إلى الاهتمام بتراث الهمداني العلمي وتحليله بغاية نفعية آنية وبغاية تاريخية أيضاً.